الدرس (06): التحليل البنيوي للسرد

جهود التحليل البنيوي للسرد:

السرديات في الدراسات النقدية الغربية:

أ– فلاديمير بروب: قدّم هذا الباحث السوفيتيي مشروعا تمثّلت قيمته في تحويل اتجاه الدّراسات السّرديّة صوب الاهتمام بما يشكّل العنصر المميّز للنّص السّرديّ، أي: الاهتمام بالبحث عن معنى الحكي ما يحقّق تماسك عناصر النّص السّردي داخل الكلّ/ المركب البنيوي. أمّا الأساس الذي أقام عليه دراسته (مورفولوجيا الحكاية الشّعبيّة) فهذه هي خصائصه[1]:

-الكشف عن العناصر المشتركة المشكلة للمتن المختار.

– نبذ المقاربة التّاريخية التي ينحصر همّها في البحث عن الجذور التّاريخية التي ينحصر همّها في البحث عن الجذور التّاريخية للأشكال الفولكلوريّة(لابدّ من تحديد الخصائص الحقيقية(الشّكلية) للحكاية).

-يجب أن ينطلق التصنيف من وصف شامل يستند إلى قواعد علمية وليس على الحدس والاعتباطية(بالاستناد إلى هذه القواعد يمكن الوصول إلى تصنيف تمييزي وتمثيليّ.

إنّ أهمّ إنجاز بنيويّ في مجال الحقل السّردي هو ما قام به" بروب" إلى جانب " ليفي شترواس"، ويتجلى ذلك في طبيعة المواد الأسطورية التي اختاراها، ذلك أن الأسطورة لغة تقوم بوظيفتها في أعلى مستوى حيث ينتج المعنى في أن يستخلص من الأساس اللغوي الذي تدور عليه الأسطورة[2] . ومعلوم أنّ" بروب" قد ميّز بين العناصر الثابتة والمتغيّرة في مائة قصّة روسيّة درسها، واستخلص منها نتائج أصبحت قانونا للسّرد منذ أيامه حتى وقتنا الرّاهن، وهي أنّ الشخصيّات تتغيّر، بينما تظلّ(وظائفها) ثابتة، وقد حدّد هذه الوظائف في إحدى وثلاثين وظيفة.

[1] – ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص 10، 11.

[2] – محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبيّ على ضوء المناهج النّقدية الحداثية، دراسة في نقد النّقد، منشورات إتّحاد الكتاب العرب– دمشق، 2003، ص 18.

ب– كلود ليفي شترواس: أثنى" شتراوس" على أفكار " بروب" وإنجازاته في حقل الخطاب السّردي، لكنّه أخذ عليه عدم تحليل الرّوابط بين الوظائف الإحدى والثّلاثين التحليل الذي تستحقّه، وأعاب عليه كذلك عموميّة تفضيل الشّكل الخطيّ السّطحي وليس البنية العميقة، والتّركيز على المضمون الظّاهر في مقابل المضمون المستتر كما كان مهتما ـ في المقام الأول ـ بالفكر الأسطوري وليس بالحكاية الأسطورية، ويرى لأن معنى أسطورة ما مستقلّ عن ترتيبات سردية معيّنة، وانّ على المحلّل ان يتجاوز هذه التّرتيبات ليصل إلى النّسق الكامن للتعبير عنها.. وإنّ ما يؤخذ على تحليله افتقاره إلى الصّلابة المنهجيّة وافتقاره لكفاءة النّماذج وتغاير الفئات التي يعزلها[1]. كان" ليفي شتراوس"رائدا في البحث السّرديّ بدراسته للأسطورة في ضوء المنظور البنيويّ الذي وضع أسسه" دي سوسير"، فالأسطورة ـ عنده ـ تتألّف من بنية مزدوجة إحداها عالمية، والأخرى محليّة، والعالمية التي تربط الأجزاء جميعا، وهي التي يبحث عنها المحلّل السّرديّ البنيوي، وهذه الازدواجية امتداد للغة النّظام واللغة الأداء.

ج–أ.ج–غريماس: وجد "غريماس" ـ مثله مثل " ليفي شترواس"ـ مما يروق له في كتاب" بروب"، بل وجد فيه الكثير مما ينبغي الاستفاضة في تحليله والتّنظير له، في كتابه" علم الدّلالة البنيوي" الذي يبحث في إنتاج المعنى في الخطاب، طوّر فيه فكرة" بروب" عن الشّخصيّة، كما طوّر نموذجا لأطراف الفعل، وهذه الأطراف هي: (الذات، الموضوع، المرسل، المستقبل، المساع، الخصم)، ويرى أنّ النّص السّردي عبارة عن كلّ دالّ، لأنّه يمكن فهمه في إطار بنية العلاقات الحاصلة بين أطراف الفعل. وبناء على هذا إن نظرية" غريماس" تتميّز عن باقي النّظريات الأخرى في المجال السّردي بخاصيّة أساسية يمكن تحديدها في صيغة بسيطة: مشكلة المعنى، فمقاربة نصّ ما لا يكون لها معنى إلاّ في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية لأيّ تحليل[2]. على أنّ تعيين المعنى لا يكون شكل حدسي دون تحديد لسيرورة نموّه وموته. إنّ غاية أي تحليل هي مطاردة المعنى وترويضه وردّه إلى العناصر التي أنتجته، أي: الاستناد إلى العناصر النّصية بانزياحاتها وتقابلاتها وتماسكها، وهكذا، جاء على يد" غريماس" التطوّر البارز في الدّراسات السّرديّة كمبحث مستقلّ عن الأساطير أو الحكايات الخرافية أو غير ذلك. ومن منطلقات " غريماس" الأساسية مفهوم " الفاعل" بوصفه وحدة بنيويّة صغرى يقوم عليها السّرد. وبالجملة، كان "غريماس" قد اعتمد في دراساته عن السّرد، على الدّراسة النقدية لاجتهادات" بروب" وتصنيفها في إطار منظور سيميوطيقي

[1]– جماعة من الباحثين من الشّكلانية إلى ما بعد البنيويّة(موسوعة كمبردج للنقد الأدبي)، ص 190.

[2]– ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السّيميائيات السّردية، ص: 07.

وينيوي[1]، فهو يوضّح أنّ النّص معطى تجريبيّ، والدّارس السميوطيقيّ بصفته محلّلا، يدرس " التنظيم التّركيبي للمعانيّ"، أي: التّقطيع والتّنظيم السّرديين.. معنى هذا أن اهتمام "غريماس" ينصبّ على السّرديّة سواء تجلّت في الخطابات ذات الطّابع التّصويريّ(الرّواية، المسرح، الحكاية الشّعبية...) أو الخطابات التّجريديّة، وليس على الطّابع السّرديّ لنصّ ما.

وإضافة إلى أعلام السّرد المذكورين أعلاه، نذكر، "رولان بارت" الذي اعتمد في دراسته" مقدّمة" في التّحليل البنيويّ للنّصّ السّردي" على أعمال" تودوروف"، "بريمون"، و"غريماس".

فصل بارت ثلاثة مستويات تترابط ترابطا هرميا في النّص السّرديّ، يتعلّق اثنان منها بالمادّة المرويّة أو القصّة (مستوى الوظائف، ومستوى الأحداث)، بينما يتعلّق المستوى الآخر بفعل السّرد أو الخطاب (مستوى السّرد). ومن جانبه، ينطلق" جيرار جنيت" من الأساس البنيويّ للتنظير للنّص السّرديّ من خلال العلاقة بين النّظام الذي يحكم الأحداث كما يرويها النّصّ، وتركيبها من حيث الحدوث التّاريخيّ، وأخيرا عملية السّرد نفسها.

يُركز " جنيت" على ما هو مسرود أو ما يتضمّنه النّص من مادة، وكذلك على عملية السّرد نفسها، أي: الخطاب السّردي. أمّا " تودوروف" فطوّر في كتابه" نحو حكايات اللّيالي العشر" نحو التفسير جوانب أساسية من حكايات" بوكاتشيو"، ووضع أساسا لعلم السّرد، وميّز ثلاثة أبعاد في النّص السّردي، وهي[2]: البعد التركيبيّ (الروابط الكائنة بين الوحدات السّرديّة)، والبعد الدّلاليّ (المضمون أو العالم المتمثل أو العالم المستحضر)، والبعد اللّفظي(الجمل التي يتكون منها النّص).

/ **السّرديات في الكتابات النّقدية العربيّة:** شهدت السّاحة النّقدية العربية المعاصرة استجابة لافتة من النقاد الغرب إثر التّحول النقدي المستجدّ، ويضمن هذا النّقد الخاص بالخطاب السّرديّ، وقد كان لهؤلاء دراسات وأبحاث في علم السّرد مع ملاحظة تفاوت واختلاف في كيفيات التّعامل والاشتغال على المفاهيم والآليات السّرديّة. ويأتي في مقدّمة النّقاد العرب الذين تعاطوا مع السّرديات عبد المالك مرتاض الذي كان له السّبق في نقل النّظرية اللّسانية الحديثة إلى السّاحة النّقدية العربية، ومن إسهاماته في هذا المجال نذكر: دراسته تحليل الخطاب

[1]– نبيل راغب، موسوعة النّظريات الأدبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشّركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، القاهرة، ص 673.

[2]–

السّردي"، " معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"، وكتابه" نظرية الرّواية" ...وعالج عبد الله إبراهيم إشكالية تأصيل السّرديات، والسّرديات العربية خاصّة، من مؤلفاته: " موسوعة السّرد العربي".. أما سعيد يقطين فناقش قضية المصطلح السّردي العربيّ، وسعى إلى إقامة مشروع نقديّ شامل خاص بالنّقد السّردي كما في كتابه" القراءة والتّجربة"، ومن أشهر مؤلفاته في السّرديات: " تحليل الخطاب الروائي"، " انفتاح النّص الروائي"، " الرّواية والتّراث السّرديّ".